مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 7 / العـــــــدد: 01 (2019)، ص ..-..

الهيرمنيوطيقا بين الفلسفة والشعر بول ريكور انموذجا

Hermeneutics between philosophy and poetry paul ricoeur example

مراد واحك
جامعة خميس مليانة m.ouahek@hotmail.com

تاريخ الاستلام: **2019/09/05** تاريخ القبول: **2019/10/10** تاريخ النشر: **2019/11/08**

ملخص:

يهدف البحث الى توضيح العلاقة بين الفلسفة والشعر وإذا كانت الفلسفة تسعى الى فهم العالم وفق نظام من المقولات والمفاهيم المرتبة وفق قواعد منطقية يحترم فيها اتساق المقدمات مع النتائج واذا كانت الاستعارة تقف عند حدود وصف العالم، فهل هناك امكانية ليتم توظيف الواحد منهما للآخر. وان ينفتح التفكير الفلسفي على توظيف الوصف الاستعاري؟ ويمكن اعتبار الهيرمنيوطيقا عند بول ريكور حقل معرفي يتوسط العقل البرهاني والوصف الاستعاري .

كلمات مفتاحية: استعارة، فلسفة، الشعر، الخيال، المنطق، الهيرمنيوطيقا.

Abstract:

This research aims to analyze the relationship between philosophy and metaphors. The search results are Poetic metaphors, producing many meanings, Philosophical logic searches for a single meaning. understands the world with logic It appears that philosophy has a field and poetry has a field, philosophy employs the mind, poetry uses imagination For the world to look beautiful

On the other hand Hermeneutics is considered a tool for reconciling philosophy and poetry, because it employs imagination in interpretation and proves it with reason. Also, Metaphors in philosophy give beauty in philosophical style

Keywords: imagination, Metaphors, Hermeneutics, philosophy, poetry

---

المؤلف المرسل: مراد واحك.

1. مقدمة:

اختلف الفلاسفة حول ما إذا كان المفهوم الفلسفي، يجب أن يعرض وفق لغة نثرية، محكومة بقياسات منطقية صارمة، متبعة في ذلك. دقة الألفاظ، ذات الدلالة المتواطئة، أم تفضل كتابته، على الاسلوب التمثيلي والشعري. فمنذ أن طرد افلاطون الشعراء من مدينته الفاضلة، اصبحت علاقة الشعر بالفلسفة، غير واضحة المعالم. متباينة من فيلسوف لآخر. بين ناف لارتباط الخيال بالفلسفة، كون هذا الحقل المعرفي يجب أن يحافظ على بعده المنطقي والبرهاني، مسار انطلق من ارسطو وابن رشد مرورا بديكارت وسبينوزا، وانتهاء بالوضعية المنطقية. وبين مسار مؤيد، لضرورة التفلسف بالأسطورة والشعر. اتجاه انطلق من الفيثاغوريين، مرورا بالفلاسفة الإشراقيين – ككتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا - وانتهاء بزراديشت نتشه، وبكتابات هايدجر في الوجود والزمان، على أن الكائن يجب ان ينفتح على القول الشعري. وبناء على ما سبق اثيرت في ذهننا مجموعة من الاسئلة: كيف بإمكان ريكور، ان يوفق بين البرهاني العقلاني كخاصية للفلسفة وبين الاستعاري البياني الذي هو للشعر. ثم هل هناك طريق واصل بين خطاب يلتزم بالدقة التي يفرضها العقل المنطقي وبين خطاب تجوزي يشتغل على التخييل. فرضيتنا الاساسية تقوم على أن ريكور يموضع الهيرمنيوطيقا كمجال يتقاطع فيه خطاب التعقيل الذي هو للفلسفة وخطاب المجاز والتشبيه الذي هو للشعر والاستعارة ونهدف من خلال هذا البحث أن نبين إمكانية انفتاح الفيلسوف على مصطلحات ومفاهيم تنتمي الى مجالات الشعر والتصوف والدين بتبيئتها داخل المجال التدلالي للفلسفة وأن ينخرط الفيلسوف في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية من اجل فهم افضل للإنسان ووظفنا في ذلك المنهج التحليلي والمنهج المقارن

.2. أوجه الاتصال والانفصال بين الفلسفة والشعر:

1.2 مفهوم الحقيقة بين الخطاب الشعري والخطاب الفلسفي:

يبتدئ بنا الحديث لنتكلم أولا، في طبيعة الحقيقة التي تخص كل من الفلسفة والشعر، فهل الحقيقة الفلسفية متماهية مع الحقيقة الشعرية؟ أم لكل واحدة منهما طبيعتها ومجالها؟ يبدو أن الاختلاف بين الفلسفة والشعر هو اختلاف بين مجالين

مختلفين وهما: مجال المنطق ومجال الخيال، مجال النسق المنطقي الاستدلالي ومجال البلاغة والشعرية، واذ كان شرط القول الفلسفي هو فرض الاتساق بين المقدمات والنتائج من اجل الوفاء" للحقيقة التاريخية " (عبد الرحمن بدوي، 1957، ص25) لتبقى الفلسفة محافظة على مهمتها المستمرة بوصفها بحث عن الحكمة. نجد في المقابل، الشعر يعرض الحقيقة من منظور ذاتي، فالشاعر يتخيل الحقيقة كما تتمثل له في انفعالاته وهمومه وطموحاته. فالتعبير الشعري يحوي على تجربة وجدانية متناقضة يعيشها الشاعر. ومن ثمة، التفكير في الشعر يقوم على " تصور توتري للحقيقة". (بول ريكور ، 2016، ص 483) وإذا كان الفيلسوف يسعى إلى انتاج خطاب، متماه مع العقل على انه مطابق للحقيقة يلزمه الامر باتباع الطريقة البرهانية التي تسلم بالمقدمات وصولا الى النتائج باحترام قواعد المنطق، على النقيض، نجد الشاعر لا يحترم قواعد القياس المنطقي، وليس في مخيلته قواعد بعينها، بل يتصور الحقيقة، على أنها تسكن في اللغة، ويمكن ان يعبر عنها بتشكيلات لغويا ابداعية، على نحو لا متناه لأنها " تعد عاملا رئيسيا في الحفز والحث وأداة تعبيرية ومصدرا للترادف وتعدد المعنى ومتنفسا للعواطف والمشاعر الانفعالية الحادة ووسيلة لملء الفراغات في المصطلحات". (يوسف أبو العدوس ، 1997، ص11) لا يهم الشاعر الحقيقة المجردة التي يبحث عنها الفيلسوف، بل في منظور كاتب القصائد: الحقيقة لا تحتاج إلى تفتيش ولا تحتاج إلى برهان بل ينقصها تعبير جيد. فكلنا يعرف الحقيقة ولكن القليل منا من يعرف كيف يجليها ويكشفها للعالم.لا شك أن حلم الفلسفة قائم على ان تكون استدلالاتها وبراهينها على صورة استنباطات العقل الرياضي والمنطقي (رينه دكارت ،2011، ص22) ومن المرجح أن أرسطو استنبط المنطق على اساس النموذج الاستنباطي الرياضي الاقليدي، متوخيا أن تكون الفلسفة مطابقة مع العقل وبالتالي مطابقة مع الحقيقة. أي الاتجاه نحو نظام من البراهين الذي يقود الى حقيقة واحدة بعينها، ولأن الشعر فن يقوم على "القدرة على التخيل أو التصور على الازدواجية

والغموض" (ونفرد نوتين، 1996، ص182) فهذا يعني أن الشعر يهمل مسألة التطابق بين الملفوظ والمعقول وبين الواقع والمعقول، ويمارس تفجيرا لعلاقة الدال بالمدلول، ليكون المعنى مرميا في المتخيل مع الاهتمام بالجانب التأثيري والعاطفي على المتلقي، مستخدما في ذلك الموسيقى التي تحدثها الكلمات العاطفية، وعلى عبارات وألفاظ مزدوجة المعنى حيث يتجه الشعر بهذا المعنى إلى الإقناع بوسائل إثارة العاطفة والخيال حيث" يكون الصوت أداة للإقناع " (ونفرد نوتين، 1996، ص182)

الفيلسوف العقلاني يرفض هذه الأدوات المستخدمة في الإقناع. وينتقد هذه الازدواجية التي تكون عليها لغة الشعراء، ذلك أنه، يفضل براهين العقل على صوت جرس الكلمة الموسيقية، وهذا يذكرنا بوضعية الشعراء في جمهورية أفلاطون، كان مصيرهم الطرد من أي مشاركة في التأسيس السياسي والاجتماعي والمعرفي للمدينة الفاضلة، الشعراء يقولون قولين في الشيء الواحد. والعقل الفلسفي يمنع مثل هذا الشطط في قول الحقيقة، وقد ذكر أفلاطون صراحة الجانب الدوني للشعر وانتصر للعقل عندما قال " فالقوة العقلية عينها لا يمكنها امتلاك آراء متناقضة بشأن الشيء عينه في الوقت عينه ".(أفلاطون ، 1994، ص 457)

الشعر في نظر أفلاطون كلام جميل، مزخرف، يدغدغ العاطفة، ينمي الجوانب اللاعقلانية من الإنسان (أفلاطون ، 1994، ص 461) والشعر عند صاحب كتاب الجمهورية يمارس سحرا على المستمع، وهو يعترف بذلك: "إننا لمدركون سحره تماما لكن ليس من الحق أن نغدر بالحقيقة على ذلك. (أفلاطون ، 1994، ص 464)

إلا أن الفلسفة تميزت وتبلورت كونها فكر يقوم على الوضوح والبيان والإظهار وهذا ما عبر عنه هيجل في قوله:" أن طبع الفكر أن يتجلى، فطبيعته هي الظهور، هي ذاته واضحا لذاته، إن ظهوره هو وجوده للذات " (هيجل، 1986، ص 183) . فاللوغوس يتميز بأنه واضح ومنكشف وظاهر، لا يخفي أسرارا، ولا يحمل ابعادا خفية، فتميز الفلسفة بوصفها خطابا للعقل، قائم على الإظهار في قول الحقيقة، على العكس من الحقائق الشعرية والسحرية التي تقوم على اخفاء الحيل والآليات والخداع في التعامل

مـع الأشـياء، لهـذا كـان مـن معـاني اللوغـوس: الظهـور والجـلاء، فالفلسـفة بإظهارهـا للحقيقـة في خطـاب غير متعـدد، أخـذت تتميز عـن العلـوم والفنـون التي تقـوم على النزعـة السـرية ." فالمعرفـة العقليـة هـي معرفـة حقيقيـة ومثبتـه تجعلنـا نتجـاوز المظـاهر ونـدرك حقائق الاشياء". (جيل جارستون جرانجي، 2004 ص14)

2.2 علاقة الفيلسوف باللغة الشعرية :

مـن خـلال مـا سـبق اتضـح لنـا ان هنـاك حقيقتـين: حقيقـة شـعرية تصـف العـالم وحقيقـة فلسـفية قائمـة على فهـم العـالم، وواضـح أن وصـف العـالم غير فهمـه، فالشـاعر يختـار الطرائـق التعبيريـة الحـرة للوصـول الى وصـف مثـالي للعـالم، مسـتعينا بالمخيلـة الحـرة، لتشـكيل الوصـف الاسـتعاري. امـا، الفيلسـوف سـيبقى ملتزمـا باللغـة التي يقيسـها المنطـق، ومـع ذلـك نجـد ان الفيلسـوف لـم يحترم هـذه القاعـدة في الكثير مـن اللحظـات الفلسـفية وأصبح الفيلسوف المتأمل شاعرا. فكيف ذلك؟

يأخـذنا الحـديث لنعـود الى الشـذرات التي تنسـب الى فلاسـفة اليونـان الأوائـل، وخاصـة تلـك التي تتعلـق ببارمينـدس وهيـراقليطس، سـنعثر فيهـا على عبـارات فلسـفية منتظمـة وفـق لغـة شـعرية واسـتعارية، سـابقة، على كـل تفكير فلسـفي نسـقي، فلـم يكـن ثمـة تجريـد فلسـفي قـد ظهـر بعـد، ولـم تبلـور الفلسـفة أسـلوبها البرهـاني الخـاص بهـا. ذلـك أن الانسـاق الفلسـفية لـم تتشـكل في بعـدها التجريـدي، الا مـع سـقراط وافلاطـون، ولـم تكتمـل في بعـدها الحجـاجي المنطقـي، الا مـع ارسـطو. فالتجربـة الفلسـفية الأولى لـم تسـتغني عـن اسـلوب الشـعراء في التعبير عـن تسـاؤلاتها. ذلـك أن «أول ضـروب الحكمـة في عصـور الوثنيـة كـان الحكمـة الميتافيزيقيـة، التي لا تنبثـق مـن التفكير أو التجريـد، كمـا تفعـل الفلسـفة المعاصـرة، وإنمـا مـن الإحسـاس والخيـال، كانـت ميتافيزيقـا هـؤلاء الرجـال شـعرا وهـو شـعر نشـأ في قلـب الحاجـة إلى إبـداع ميتافيزيقـا، إلى تفسـير للكـون، ونحـن نقـول إن الحاجـة أم الإبـداع وأن الإبـداع كلمـة اخـرى للتعبير عـن الخيـال، الخيـال بـديل

المعرفة -وقبل أن كانت المعرفة ممكنة. ملأ الفراغ المبهم الناشئ عن وجود إنساني كثير التساؤل " (هربرت ريد،1997 ، ص 103).

أما أفلاطون الذي طرد الشعراء من مدينته الفاضلة. لم يستطع أن يتخلص من جاذبية شعرهم، فقد استلهم أسلوبهم في الكتابة الفلسفية وشاركهم في لحظة الهوس والإلهام. فهوس الشاعر قد يلحق بالفيلسوف نفسه عندما قال: "إن فكر الفيلسوف هو الفكر المحلق ذو الأجنحة، لأن عملية تذكره، دائما تتجه بقدر امكانه. إلى نفس الموضوعات التي يمكن الاتصال بها. اذن، فمن يلجأ الى استخدام وسائل التذكر بالطرق الصحيحة يمكنه المشاركة في الأسرار. وعندئذ يحس المرء بأجنحة تنبت فيه وتتعجل الطيران ولكنها لا تستطيع فتشرئب ببصرها إلى أعلى كما يفعل الطائر وتهمل موجودات هذه الأرض حتى لتوصف بأن الهوس قد أصابها" (افلاطون، 1994، ص 68)

وقد قال عنه مؤرخ الفلسفة ول ديورانت: "إن الصعوبة في فهم افلاطون تكمن في هذا المزيج المسكر بين الفلسفة والشعر، والعلم والفن حيث لا نستطيع ان نذكر في اي نوع من الحوار يتحدث الكاتب، او في اي شكل. وهل هو حرفي ام مجازي، وهل هو مازح ام جاد. ان حبه للمداعبة والتهكم والخرافة والاسطورة يتركنا في حيرة احيانا ونستطيع ان نقول عنه انه لا يقوم بالتدريس الا مستعينا بالأمثال والحكايات." (ول ديورانت ، 1988، ص 21)

في الفلسفة المعاصرة، قد يكون الشعر كأحد وسائل انتاج الحقيقة الفلسفية وكحيلة تخلق حقائق خاصة بما يريد الفيلسوف اقراره، كتجلي لإرادة القوة، لهذا لم يخفى نتشه حيلته عندما قال:" وسيفهم لماذا كان لزاما علي، حين لا اعثر على ما احتاج اليه. أن احصل عليه بالقوة والحيلة، أن اصيره كما ارغب من خلال التزييف، من خلال الشعر وهل فعل الشعراء يوما غير ذلك؟ وما تكون الفائدة إذن من فن العالم كله" (فريدريك نيتشه ، 2002، ص9).

يقـر نتشـه أن الشـعر هـو أداة مـن أدوات ارادة القـوة مـن اجـل خلـق حقيقـة خاصـة بالفيلسـوف حـين لا يجـدها بـالطرق البرهانيـة، فالشـاعر يخلـق حقائقـه الخاصـة بالاسـتيلاء عليهـا بفـن الشـعر ولا يتوقـف الامـر عنـد نتشـه بـل نجـد ذلـك عنـد مواطنـه هايـدجر حيـث لا يخلـو مشـروعة الفلسـفي مـن توظيفـه للكثير مـن الاسـتعارات واسـتخدام اسلوب الشعراء في تعبيره الفلسفي

3.كانط و انفتاح الفلسفة على الخيال :

قـد يكـون هنـاك سـؤال مشـروع، لمـاذا التوقـف عنـد كـانط بالـذات ولـيس عنـد نتشـه او هايـدجر. الجـواب هـو أن كـانط اول مـن ميـز بـين الخيـال الابـداعي والخيـال الاتبـاعي وهـو مـن الفلاسـفة الـذين حـاولوا التقريـب بـين الفلسـفة والشـعر، وبـين المفهـوم العقلـي والتمثـل الخيـالي. بدايـة: يحـاول صـاحب كتـاب نقـد ملكـة الحكـم أن يبـين الفـرق بـين الفلسـفة والشـعر على أنـه اخـتلاف بـين المفهـوم والتمثـل بقولـه: " المفهـوم لا يسـتطيع أن يعبـر عـن ذاتـه إلا وفـق كلمـات محـدودة بينمـا المخيلـة تمتـد إلى كميـة مـن التمـثلات القريبـة منهـا التي تحمـل على التفكيـر بـأكثر ممـا نسـتطيع أن نعبـر عنـه بواسـطة مفهـوم تحـدده الكلمـات " (إيمانويـل كنـت ، 2005، ص 242) ومعنى هـذا أن مـا يحكـم التفكيـر الفلسـفي هـو التفكيـر بواسـطة المفهـوم الـذي يقـوم على اسـاس مـن الضـرورة المنطقيـة التي تـربط الموضـوع بـالمحمول لكـن في المقابـل، مـا يحكـم التمثـل الشـعري هـو التفكيـر بـلا مفهـوم. اي انتـاج تمـثلات تـدفع بالعقـل ليفكـر في الموضـوع الفني أكثـر، ليحثـه على اكتشـاف اغـواره ذلـك أن المعـاني الشـعورية لا تسـعها غيـر المخيلـة لتعبـر عـن نفسـها. "فالإبـداع الفني تخييـل يـدعو الى التفكيـر على نحـو لا يمكـن لأي مفهـوم ان يسـتوعبه، اي لا يمكـن لأي صـياغة أن تعينـه " (فتحي المسـكيني، 2011، ص 85) وإذا كـان هـذا الامـر يتعلـق بالأعمـال الفنيـة كالرسـم والشـعر والموسـيقى حيـث يكـون العمـل الفني الواحـد مثيـرا لكثيـر مـن التـأويلات والقـراءات ولا يمكـن الجـزم حـول معنـاه النهـائي بمعنى محـدد ومعـين، فهـل يمكـن أن تكـون الفلسـفة على غـرار الشـعر او الفـن، منتجـة لكثيـر مـن

القـراءات والتـأويلات. وذلـك بـإخراج المفهـوم الفلسـفي علـى نحـو تخييلـي كمـا يعـرض الرسـام لوحـة فنيـة وكمـا يعبر الشـاعر عـن حقائقـه في قصـيدة شـعرية؟ للإجابـة عـن هـذا التسـاؤل نسـتعين بعبـارة مهمـة لكـانط في كتابـه نقـد ملكـة الحكـم: " وإذا أضـفنا إلـى مفهـوم مـا، تمثـل الخيـال الـذي ينتمي إلـى تقديمـه ولكنـه يسـتفز وحـده الكثيـر مـن التفكير، بحيـث لا يمكـن الإلمـام بـه في مفهـوم محـدد وبالتـالي الـذي يوسـع المفهـوم نفسـه جماليـا بطريقـة غيـر مقيـدة، إذا فسـيكون الخيـال في هـذه الحالـة إنتاجيـا ويطلـق ملكـة الأفكار العقلية على الحركة ". (إيمانويل كنت ، 2005، ص 246)

يمكـن ان نلخـص عبـارة كـانط السـابقة بقولنـا: امكانيـة كتابـة المفهـوم الفلسـفي على نحـو تخييلي وشـعري. وبـذلك يمكـن أن يمـارس الـنص الفلسـفي تخيـيلا، تمامـا مثلمـا تمارسـه اللوحـة الفنيـة. فمـن خصـائص اللغـة الشـعرية: " تعـدد الدلالـة **polysémie** أي أن الكلمـة الواحـدة يقابلهـا أكثـر مـن معنى، أي أن العلاقـة بـين الكلمـة والمعنى ليسـت علاقـة أحاديـة، ولكنـه في الوقـت ذاتـه يشـكل مصـدرا لإثـراء اللغـة، ذلـك أنـه يتسـنى للمـرء في هـذه الحالـة أن يتلاعـب بمـدى كامـل مـن المعـاني المـرتبط بكلمـة واحـدة" (بـول ريكـور، 1998، ص88)

التفكيـر الفلسـفي بوسـاطة المخيلـة معنـاه، إيجـاد مكـان للفكـرة الجماليـة في الـنص الفلسـفي، وألا يقتصـر مـا يثيـر الرضـى والدهشـة فقـط علـى فنـون الشـعر والرسـم والخطابـة بـل ينسـحب علـى النصـوص التأمليـة. والفكـرة الجماليـة عنـد كـانط تتحـدد بقولـه" أعني بـالفكرة الجماليـة تمثـل الخيـال الـذي يحـدث الكثيـر مـن التفكير دون إمكـان أن يخضـع هـو نفسـه لأيـة فكـرة محـددة. وبالتـالي لا توجـد لغـة تسـتطيع الإمسـاك بـه تماما أو جعله معقولا ". (إ.كانط ، 2005، ص 245)

وهكـذا يمكـن للـنص الفلسـفي، الـذي يـتم تطعيمـه بالخيـال، أن يحتـوي على فهـم ورؤيـة تأمليـة للوجـود، ويحمـل ايضـا روحـا جماليـة حيـث تطلـق هـذه الـروح العقـل على التفكير والفهـم أكثـر، بـل كـذلك يحيي الـنفس ويطلـق انفعالاتهـا وعنفوانهـا وليسـت هـذه الـروح سـوى الفكـرة الجماليـة الصـادرة مـن الخيـال الـذي يحـدث الكثيـر مـن التفكير دون إمكـان

أن يخضع هو نفسه لأية فكرة محددة. (إيمانويل كنت ، 2005، ص 245) هذا ما سلكة فلاسفة من قبيل نتشه وهايدجر، في عرض فلسفتهم بالاستعانة بالخيال، مفاهيمهم لا تستنفذها القراءة الواحدة، بل تخضع لقراءات عديدة، لا تحصى. وفي الوقت نفسه لا يمكن ضبطها في دلالة واحدة، فالتعبير الاستعاري للمفهوم «يعطي الخيال سببا في البسط نفسه على قدر كثير من التمثلات المترابطة، مما يسمح للمرء بأن يفكر بها أكثر مما يستطيع التعبير عنها في مفهوم تحدده الكلمات (إيمانويل كنت ، 2005، ص 245)

4. الهيرمنيوطيقا الريكورية كوسيط بين الفلسفة بالشعر:

1.4 تساؤل تمهيدي:

يطرح علينا في هذا الموضع من البحث، مجموعة من التساؤلات: كيف يوظف ريكور فلسفة كانط، ثم هل هناك امكانية لتوظف الفلسفة الاستعارة باعتبارها تقوم على وصف الواقع على نحو مختلف، في قول ادبي موجز يكشف ويصف أكثر، في مقابل التعقيل الفلسفي الذي يقوم على : وضع مقولات لفهم الوجود كمقولات أرسطو ومقولات كانط وكالقسمة الثنائية للعالم عند أفلاطون، وإذا كان اختلاف العبارة الفلسفية عن العبارة الشعرية يرجع «أن فهم عبارة منطقية هو شيء آخر غير اكتشاف الصور" (بول ريكور، 2016 ص 464). فكيف يوفق ريكور بين الفهم الذي يتجه نحو التفصيل والتقسيم وبين الوصف الذي هو خاصية لغوية. لا شك ان ريكور يسعى الى اعادة ارجاع الوصف الشعري في داخل الحقل الفلسفي وتوسيع من امكانية التعبير الفلسفي ليشتمل على الاستعاري والرمزي تحقيقا لأمنية نوفا ليس: "العقل شاعر مباشر: مخيلة منتجة بلا وسائط. (فتحي المسكيني، 2011 ، ص 106) فكيف بإمكان ان تتصالح الفلسفة مع الشعر وان يكون الشاعر صديقا للفيلسوف؟

2.4 في مفهوم الخاصية الاستعارية:

حتى نستطيع معرفة الدور الذي تلعبه الاستعارة في الخطاب الفلسفي علينا ان نتوقف عند مفهوم الاستعارة وخاصيتها الادبية. ينطلق ريكور في بناءه لمفهوم للاستعارة من المفهوم الأرسطي، ف" الاستعارة الجيدة هي رؤية -تأمل، إدراك بالعينين الشبيه، النقل-هو هذه اللمحة، هي التفاتة العبقرية التي تستعصي على التعليم وعلى التحصيل " (بول ريكور، 2016 ص 316) إذن تشتغل الاستعارة على إدراك الأسماء المتشابهة وإضفاء الواحد منها على الآخر، حيث يكون المشبه به يحمل صفات شبه بالمشبه أي " نقل الاسم المعتاد لشيء ما الى شيء آخر بسبب تشابهما ".(بول ريكور، 2001، ص14)

تتمحور العملية الاستعارية على نقل كلمات، ذات معنى مخصوص ومألوف إلى مجال كلامي آخر، حيث تثير هذه الكلمة اسنادا شاذا أو توتر في سياق الجملة المنقول إليها ف"عندما يوضع شيآن مع بعضهما بعيدين اصلا فإن الانفعال المتولد يكون أكبر". يوسف ابو العدوس، 1997 ص، 11)

ويمكن أن نستنتج خاصية الاستعارة في:

ا. وجود توتر بين أطراف الجملة.

ب. وجود توتر بين التأويل الحرفي والتأويل الاستعاري للجملة حيث لا يمكن فهم الجملة بمجرد قراءة حرفية.

ج. التوتر في الإحالة بين هو، وغير هو (بول ريكور، 2016 ص 461)حيث لا يمكن الجزم على أي عالم تحيل إليه الاستعارة. يتعلق الأمر بكون الملفوظ الاستعاري يزعزع عادات الفهم الذي اعتاد عليها العقل في فهم الألفاظ والكلمات، فلم تعد الكلمات هي نفسها، بل تظهر علاقات جديدة من خلال نقل كلمة إلى جملة غير متسقة ظاهريا أو " تكون هناك استعارة لأننا نلمح من خلال البروز الدلالي الجديد ومن تحته بطريقة ما، مقاومة الكلمات داخل استعمالها المعتاد " (بول ريكور، 2001، ص15)

3.4.إحياء الاستعارة في داخل الخطاب الفلسفي:

وبناء على الوظيفة التعددية للتدلال الاستعاري فإن الفلسفة يمكن ان تحيي الاستعارات القديمة لتعبر عن مفاهيمها بكيفية جديدة ولم يخفي ريكور ذلك بقوله "ويعجبني جدا ذلك المفهوم الذي طرحه هايدجر والذي يربط فيه بين هذا المصطلحات الثلاثة: البناء constructing، السكني، dwelling، الأفق، horizonاي ذلك الشيء الذي كلما اقتربنا منه ظل بعيدا عن حوزتنا، فالعالم بهذا المعنى هو حيث نسكن. أيضا فان مفهوم العالم ينطوي على مفهوم طاقته دائما عصية على الاستنفاذ، فكل تجربة يطرحها لنا هذا العالم تنطوي على شيء ما هناك، ولكن هذا الشيء يبقى مجرد إمكان potential.وكل الامكانات التي تنطوي عليها تجاربنا تشكل ما يسمى بالعالم." (بول ريكور، 1998 ص10)

الفلسفة المنفتحة على اللغة الشعرية تستفيد من التعدد الدلالي للاستعارة وهي بذلك تحقق فعل المعرفة والتذوق الجمالي في آن واحد، فباقترابها من الروح الشعرية تكون متمنعة من التحديد والضبط، ومن الاحاطة والشرح الكامل وتصبح كل قراءة مشتغلة عليها: مجرد وقوف على إحدى إمكانات تدلالاتها . إن الاستعارة في الفلسفة تحيي التفكير الفلسفي" لأنها تسجل وثب الخيال في تفكير أكثر على مستوى المفهوم، هذه المقاومة لتفكير أكثر بتوجيه مبدأ يحيي الذي هو روح التأويل " (بول ريكور، 2016 ص 467) وهكذا تكتسب الفلسفة صفة الخلود من خلال قدرتها على التشظي الى مدلولات عديدة، وتثير روح النقاش والجدل في الاوساط الفلسفية كما يمكن أن تقرأ في كل عصر بحسب روحه واحتياجاته.

وهكذا، فإن ريكور لا يقصي استخدام الاستعارات من التفكير الفلسفي، بل على الفلسفة أن تمتلك الفكرة الجمالية والذوق الذي يثير المتعة والرضا في عرض أفكارها الفلسفية " ف من المستساغ للفيلسوف الاقدام على قول ما هو مدهش وغريب بتشبيب بعض الاستعارات الميتة أو باستدعاء بعض المعاني العابرة لكلمة ما " (بول ريكور، 2016 ص 479) والملاحظ أن فلسفة

بول ريكور، انبنت على إحياء الكثير من الاستعارات القديمة، واستخدام مصطلحات شعرية " مثل استعارة الضوء والأرض والسكن والطريق، في سياق جديد هو بمثابة تجديد هذه الاستعارة "(بول ريكور، 2016 ص 480) يتضح ان " جهد كانط ضمن نقد ملكة الحكم لربط المحسوس بالفكرة قد بقي في منتصف الطريق" (فتحي المسكيني،2011، ص 101) قد وجد في "فلسفة ريكور تطبيقا عمليا لهذا الربط من خلال فلسفته في الرمزية ، في هذه العبارة ذائعة الميت " الرمز يدعو إلى التفكير" حيث يمكن شرح عبارة ريكور هذه بأن الرمز" يستفز وحده الكثير من التفكير بحيث لا يمكن الإلمام به في مفهوم محدد ". (إيمانويل كنت ، 2005، ص 246)

5.الهيرمنيوطيقا بين تشظي الشعر وعقلانية الفلسفة :

يتوقف بنا التحليل عند التساؤل التالي: هل يمكن اعتبار الهيرمنيوطيقا نظرية معرفية جديدة، تتوسط الخيال والحدس من جهة والعقل والبرهان من جهة أخرى وتستفيد من أدوات العقل البرهاني من ناحية اولى ومن وثبة الخيال الاستعاري من ناحية ثانية. متجاوزة في ذلك، ذاك النوع من الفلسفة العقلانية الرافضة لكل معرفة اسطورية وشعرية الواضح أن ريكور من خلال مشروعه يقدم الهرمنيوطيقا كبديل عن النظريات الفلسفية التي تتجه نحو التفسير الاحادي، ماركسية كانت او بنيوية علمية او تحليلية نفسية... ذلك أن مهمة الهيرمنيوطيقا تقوم على البحث عن المعنى واجتراح عوالم جديدة من الفهم وحتى نستطيع فهم الهيرمنيوطيقا وتبيان وظيفتها، يميز صاحب كتاب الاستعارة الحية بين ثلاثة انواع من الخطابات:

أ -الخطاب التأملي: وهو الخطاب الذي يتجه نحو التعقيل من خلال تقسيم العالم الى مقولات ومفاهيم والحرص على مواطأة المدلول مع لفظه. وعلى العموم خطاب التأمل خطاب يتجه نحو الدقة والصرامة ويستخدم في ذلك براهين واستدلالات تأخذ صورتها من نموذج المنطق «إذ ان الفلسفة تبدو علما صارما تتطلب الدلالات المتواطئة". (بول ريكور، 2003 ، ص45) بعيد عن كل فائض في المعنى.

ب -**الخطاب الرمزي:** ويشتمل على الاسطورة والشعر والالغاز حيث تعبر هذه الخطابات عن التجربة الانسانية في ابعادها المختلفة وتندرج الاستعارة ضمن الرمز الذي هو" كتيم غير شفاف بسبب تركيبه التماثلي والمعنى المزدوج الذي يمنحه جذورا مشخصة يثقله بالمادية وهذه الكتامة لا يمكنها ان تقصد غير اللبس" "(بول ريكور، 2016 ص 466)وسبب اندراج الاستعارة ضمن الخطاب الرمزي " لأن التلفظ الاستعاري يترك المعنى الثاني معلقا كما يظل المرجع دون تقديم مباشر" "(بول ريكور، 2016 ص 466) يتميز الخطاب الرمزي بفائض في المعنى وكثرة في الدلالات. لذلك، بقيت الكثير من الاساطير والحكايات التكوينية لدى الكثير من الشعوب تراثا حيا لا يزال يوظف الى اليوم

ج - **الخطاب التأويلي:** وهو الخطاب الذي يسعي نحو الافهام والتبيين والتوضيح، يدافع عن أحادية المعنى، مهمته الاساسية البحث عن الفهم المرجح والنهائي للنص وهو بهذا يماثل الخطاب التأملي والفلسفي لأن" التأويل هو فعل المفهوم، إنه عمل توضيحي دائما""(بول ريكور، 2016 ص 466)ولأن فعل الفلسفة ليس الا بحث عن تواطؤ المعقول مع المقول. وإذا كانت الاستعارة تتجه نحو فائض المعنى بتشظية الدلالات. فإن عمل المؤول، يقوم على تعقيل الاستعارة والرمز اي توجيه الذهن الى معنى احادي وحيد " فالتأويل هو بالضرورة تعقيل وهو في الحدود القصوى يفرغ التجربة التي تأتي الى اللغة عبر الصيرورة الاستعارية ""(بول ريكور، 2016 ص 466) يتموضع التأويل ضمن الخطاب الأحادي الذي هو للفلسفة ولكنه يشتغل من جهة أخرى على الرموز بالتبين والشرح والتفسير.

وهكذا تتموضع الهيرمنيوطيقا بوصفها نظرية في التأويل بين العقلانية المنطقية والرمزية التخيلية بأشكالها المختلفة (الاساطير والشعر)، يؤكد ريكور أن المنهج المناسب لإحداث التوسط بين العقل والخيال وبين المنطق والرمز هو التأويل أو الاسلوب الهيرمنيوطيقي يقول الفيلسوف الفرنسي : "اننا نستطيع أن نتصور أسلوبا

هيرمنيوطيقيا حيث يستجيب التأويل في الآن نفسه لتصور المفهوم ولتصور القصد المكون للتجربة التي تلتمس ان تقال على الجهة الاستعارية"(بول ريكور، 2016 ص 466) حيث يستطيع الهيرمنيوطيقي ان يفكر في الاستعارات الشعرية والاسطورية بقصد البحث عن الدلالات بعيدا عن النظرة الاقصائية التي تبعد النصوص الرمزية والشعرية من دائرة المعقول. فالتأويل هو موضعه الاستعارة والاسطورة في دائرة عمل الفهم من اجل استخراج المعنى الثاوي خلفها، واستعادتها بجانب المواضيع المفكر فيها وبذلك تصبح مصدرا للمعقول، بدل ان تكون عدوة العقل.

هكذا يحاول ريكور أن ينقذ النصوص الرمزية من اقصاء العقلانية التي يحلم احد ممثليها رودولف كارناب بأن يؤسس للغة فلسفية على غرار اللغة العلمية بقوله: " إن هذه المطالبة بالتعليل والأساس النهائي لكل أطروحة ستقضي كل الأعمال التأملية والشعرية من الفلسفة ، ما أن بدأنا في أخذ مطلب الصرامة العلمية بجدية حتى توصلنا إلى إلغاء كل الميتافيزيقيا من الفلسفة ، طالما لا يمكن تعليل أطروحاتها عقلانيا، يجب أن يكون إعطاء أساس عقلي لكل أطروحة علمية أمرا ممكنا" (رودولف كارناب ، 2011، ص 29)في المقابل نجد المنهج الهيرمنيوطيقي يحمل بعدا تخييليا يتجاوز صرامة المناهج العقلانية التي تدافع عن المعنى الاحادي. وهو بهذا، يستهدف تحقيق التقاطع بين الخطابات المختلفة ويحافظ على الفلسفة الميتافيزيقية وعلى والخطابات الرمزية فالهيرمنيوطيقا " تلتمس وضوح المفهوم ومن جهة أخرى تلتمس الاحتفاظ بدينامية الدلالة التي يوقفها المفهوم ويثبتها" (بول ريكور، 2016 ص 466)

الهيرمنيوطيقا كنظرية في التفسير تتموضع بين العقل والخيال، إذ باشتغالها على الرموز والاستعارات والاساطير فهي تبحث عن كشف المعاني المختلفة أما الفلسفة التي تنطلق من معيارية الرياضيات فلا تستطيع ان تستوعب التجربة الانسانية العميقة المفرغة في الشعر والاسطورة والالغاز"إن مهمة أي فن تأويلي ما، بالمقارنة مع مهمة الحجاج ليست هي ترجيح رأي على رأي آخر، بل السماح لنص معين بأن يدل

قدر المستطاع. لا أن يدل على شيء دون آخر، بل أن "يدل أكثر"، وبالتالي أن يدفع إلى "التفكير أكثر" حسب عبارة لكانط في كتابه "نقد ملكة الحكم". وفي هذا الصدد يبدو لي أن الهيرمينوطيقا هي إلى الشعرية أقرب منها إلى البلاغة ". (بول ريكور، 1991، ص115).

إذن الهيرمنيوطيقا كنظرية في التفسير، تستفيد من الخيال الاستعاري الذي يسمح بالقول الدلالي المتعدد، من جهة أنها، منفتحة على جميع النصوص. وتسعى إلى تفسير أكثر لفهم أحسن. وتستفيد التأويلية ايضا من العقل البرهاني، الذي يتوجه نحو التعقيل والأحادية، من جهة اتصالها بالفلسفة. لأنها تستخدم أدوات الفلسفة، كالحجاج والبرهان." وبهذا فإن الهيرمنيوطيقا تستعير بشكل كبير ادواتها من فن البلاغة لأنه لا يتم التعرف على الذات المتكلمة إلا في بعدها اللغوي وهنا تتقاطع البلاغة مع الهيرمنيوطيقا. فكلاهما فن يطور وينمي بطريقة منهجية ملكة طبيعية ويحمل إلى الوعي العلاقة بين الذات واللغة (عمارة الناصر ، 2014، ص23) ومعنى هذا ان عقل المؤول يحتاج الى خيال واسع حتى يستطيع ان يكتشف عوالم النص الملتبسة والخفية وعليه أن يكون مطلعا على الكثير من النصوص والمعاني. كثقافة قبلية، حتى يستطيع التعرف على الدلالات المحتملة لهذا اللفظ او لهذه العبارة. اما تناول النص من منظور علمي وتحليلي منطقي فإنه يحيل الخطاب الى دائرة اللامعقول. إن المؤول لا يمكن أن يمارس التأويل من دون أن يمتلك مخيلة تدربت على قراءة الرموز والاستعارات والحبكات. لأن المؤول يريد فهم أكثر، "وحيثما وجد التأويل وجد الابتكار الدلالي. وبمجرد الشروع في "التفكير أكثر"، يتم اكتشاف وخلق عالم جديد " (بول ريكور، 1991، ص117).

المؤول فيما هو يؤول ويفهم فإذا به يتخيل الدلالة والمعنى. إذ تشتغل مخيلته بالارتحال في امتدادات النص وما يعرضه من دلالات محتملة " وانه لفي هذا الخيال

وفي قانون التأثير بالذات عن طريق الذات التي تعود له واليه هي الزمن نفسه يجب البحث عن مفتاح الازدواجية" (بول ريكور، 2005، ص 268).

وبعبارة ادق: الخيال لا يدرك الا بالخيال، وما أنتج بواسطة المخيلة لا يتم النفاذ اليه الا بواسطة المخيلة وعلى نحو ادق، الشاعر والكاتب الذي كتب نصه بمخيلة فذة يحتاج الى فهم نصه الى مخيلة عبقرية موازية، فالخيال لا يمكن كشفه الا بالخيال، وما كتب بالحدس يحتاج الى حدس المخيلة لكشف اغواره. فالخيال التأويلي هو المناسب لفهم استعارات أدونيس التالية: "للروابي نار وللنخل أوتار، وفي الليل صهوة المعراج، حيث تصاعد الخطى، ويصير الحلم لونا في سلم الابراج، ويطول البحر القصير، وتهوي الروح في جاذبية الامواج. علامة: من أول الزمان...كل شيء يسافر بين السنابل، يحمل اسراره يستدير، خشنا طيبا كالرغيف، كل شيء يسافر بين السنابل يهجر تاريخه الاليف، كل شيء يصير نورسا يتموج حول المياه العميقة، في مدى بحري الكبير بحر أحلامي الصديقة." (أودونيس، 1996، ص109)

6.خاتمة:

يتضح أن هناك فروق جوهرية بين الشعر والفلسفة ذلك أن الشعر يشتغل على جماليات اللغة بتجميل العالم على مستوى الذائقة الاستيطيقية بينما تسعي الفلسفة الى بحث عن الحقيقة وتقديمها في خطاب اقناعي، ما يجعلها تهتم بوسائل وقواعد المنطق والبرهان، الا ان اهم ما توصلنا اليه من خلال البحث ان الهيرمنيوطيقا منهج في القراءة يتقاطع فيه الفلسفي مع الشعري، منهج يأخذ من الشعر التعدد الدلالي الذي هو خاصية تخييليه، ويأخذ من الفلسفة البرهان والحجاج. الهيرمنيوطيقي يفترض أولا في النص تعددا دلالايا ومن ثمة يسعى اثبات هذه القراءة المحتملة او تلك من خلال أدوات البرهان والحجاج. كما ان الهيرمنيوطيقا انفتحت على دراسة منتجات الخيال الانساني من شعر واساطير وتصوف وهي بذلك تنفتح على الكائن الانساني في مختلف ابعاده. بل يمكن القول أن عمل الهيرمنيوطيقا الاكبر هو ادراج البعد الخيالي ضمن مقولاتها متجاوزة الفلسفة المعيارية التي تختزل تجارب الكائن الانساني الى معنى

وحيد متأثرة بالوضعية المنطقية.الا ان بحثنا يدفعنا الى اقتراح متعلق بضرورة إدخال البعد الجمالي في الكتابة الفلسفية وذلك بتوطين وتبيئة مصطلحات والفاظ مأخوذة من الدين والشعر والاسطورة حتى يكون للفلسفة سحرها الخاص.

الا ان هناك حدود في توظيف البعد الخيالي والشعري في بعض الحقول المعرفية، فيجب مثلا ابعاد كل نزعة استعارية وشعرية من الخطاب القانوني الذي يتوجه نحو تنظيم الشؤون السياسية للمجتمع فعلى النص القانوني أن يدافع عن القراءة الاحادية والحرفية ذلك ان النص الفضفاض يدفع حتما الى التأويل، وقد يكون هناك تأويل للنصوص القانونية من منطلق ذاتي ومصلحي. ثم ان هناك نصوص العقيدة المؤسسة لا يجب ان تخضع في عرضها للأسلوب الاستعاري والا اصبحت هذه العقائد موظفة من جميع الفرق ويتلاعب بها سياسيا وايديولوجيا، كما أن خطاب الاصلاح النهضوي يجب ان يحافظ على بعده العقلاني وان يتمثل الروح البرهانية في عرض مفاهيمه وافكاره. اما اذا تعلق الامر بتفسير حياة الانسان وفهمها وايجاد معاني جديدة فباب مفتوح للاستعارة.

قائمة المصادر والمراجع:

1 - أودونيس، الاعمال الشعرية، (1996)، هذا هو اسمي وقصائد أخرى، ط1، دار المدى الثقافية دمشق..

2 - أبو العدوس، يوسف، (1997)، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

2 - أفلاطون، (1994)، المحاورات الكاملة، المجلد الأول، الجمهورية، نقلها إلى العربية: شوقي داود تمراز، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع.

3 - افلاطون، (2000)، محاورة فايدروس لأفلاطون أو عن الجمال، ترجمة : أميرة حلمي مطر، دار غريب ، القاهرة.

4 - جارستون جرانجي، جيل، العقل، '2004)، ترجمة: محمود بن جماعة، ط1، دار محمد علي، صفاقص، تونس.

5 - بدوي، عبد الرحمن، (1957)، مدخل جديد الى الفلسفة، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت

6 - ديكارت، رينيه، (2011)، مقالة الطريقة، ترجمة: جميل صليبا، تقديم: عمر مهيبل، ط1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر.

7 - ديورانت، ول، قصة الفلسفة، (1988)، ترجمة: فتح الله محمد مشعشع، ط6، مكتبة المعارف، بيروت.

8 - عمارة الناصر، عمارة، (2014)، الهيرمينوطيقا والحجاج، مقاربة لتأويلية بول ريكور، ط1، دار الأمان، الرباط.

9 - كارناب، رودولف، (2011)، البناء المنطقي للعالم والمسائل الزائفة في الفلسفة، ترجمة وتقديم: يوسف تيبس، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

10 - كانط، إيمانويل ، (2005)، نقد ملكة الحكم، ترجمة: غانم هنا، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

11 - هربرت ريد، (1997)، طبيعة الشعر، ترجمة: عيسى العاكوب ، ط1،منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

12 - هيجل، فريديريك، (1986)، محاضرات في تاريخ الفلسفة، ترجمة: خليل أحمد خليل، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت.

13 - ريكور، بول، (2003)، في التفسير، محاولة في فريد، ترجمة: وجيه أسعد، ط 1 ، الأطلس للنشر والتوزيع ، دمشق.

14 - ريكور، بول (2016)، الاستعارة الحية، ترجمة: محمد الولي، مراجعة: جورج زيناتي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

15 - ريكور، بول، (2005)، صراع التأويلات، ترجمة: منذر عياشي، مراجعة: جورج زيناتي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس.

16 - نوتين، ونفرد، لغة الشعراء، ترجمة: عيسى العاكوب، خليفة الغرابي، ط1، معهد الانماء العربي، بيروت.

17 - نيتشه، فريدريك ،(2002) انسان مفرط في انسانيته، ج1، ترجمة: محمد الناجي، ط 1، افريقيا الشرق، بيروت..

ريكور، بول، (2005)، صراع التأويلات، ترجمة: منذر عياشي، مراجعة: جورج زيناتي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس..

المجلات:

بول ريكور، (1998)، الفلسفة والشعر، مجلة نزوي، العدد16.

بول ريكور، (1991)، البلاغة والشعرية والهرمينوطيقا، تر: مصطفى النحال، مجلة: فكر ونقد، العدد، 16.